**أولا :مدرسة فرانكفورت و مراحل تطورها**

يعود ظهور معهد البحوث الاجتماعية إلى الوجود إلا بعد إصدار مرسوم مؤرخ في 03 فيفري 1923 عن وزارة التعليم الألمانية يقضي بإلحاق المعهد بالجامعة، وافتتح رسميا في يونيو 1924 هذا المرسوم هو الأساس التنظيمي الذي تطور بموجبه المعهد الذي كان الثمرة الكبرى وأحد أشكال الاستجابة للحاجة التي استشعرها الجناح اليساري من المثقفين نحو إعادة تقويم النظرية الماركسية وبهذا الإلحاق شكل المعهد جزءا من حركة فكرية واسعة أخذت تعرف بوصفها الماركسية الغربية التي تتميز من ناحية أخرى بنظرة نقدية لتطور المجتمع والدولة في الاتحاد السوفيتي.

إن التعريف بفكر وفلسفة مدرسة فرانكفورت النقدية وروادها الأوائل بعجالة امر ليس بهين ، بعد أن أصبحت هذه المدرسة اليوم أساسا لأغلب النظريات متاهات النقدية لما بعد الحداثة، وخاصة في الفلسفة وعلم الاجتماع وعلم النفس والأنثروبولوجيا وحتى في الأدب والفن والموسيقى، وكذلك متابعة مصادرها و خطوط تطورها المتشابكة وتبلور نظريتها النقدية منذ نشأتها محاولين قدر الإمكان توضيح العلاقات المعقدة لأفكار روادها الأوائل وخاصة و علاقتهم مع الفلسفات الهيغيلية والماركسية و الوضعية.

ولقد كانت غاية هذه المدرسة هو تحقيق ما يلي:

1- المحاولة الجادة التي قام بها أعضاء المدرسة من أجل أن يقدموا فكرا ماركسيا يتميز عن الحتمية الاقتصادية الميكانيكية من جانب، وعن الترعة التطورية من جانب آخر.

2- تأكيد أعضاء المدرسة على أهمية النقد ذاته في تطور المجتمع.

3 - اهتمام مفكري هذه المدرسة بالشكل الفلسفي، لا بالشكل العلمي والموضوعي تماما من الماركسية. وربما يرجع ذلك إلى إدانتهم للفكرة القائلة بأن النموذج العلمي والعقلاني للبحث هو خير نموذج يحتذى به المفكرون لكي يقدموا معرفة صادقة حول المجتمع ويحققوا ما يصبو إليه المجتمع من غايات .

إن فكرة إنشاء مدرسة متميزة لم تظهر إلا بعد إجبار المعهد على مغادرة مدينة فرانكفورت. وأن مصطلح "مدرسة فرانكفورت "نفسه لم يستخدم إلا بعد عودة المعهد إلى ألمانيا سنة 1950، يصنف أغلب المتتبعين لمراحل نشاط هذه المدرسة إلى أربعة مراحل نوجزها باختصار:

المرحلة الأولى: ما بين (1923-1933

اتسمت طبيعة إدارةالمعهد بالطابع الدكتاتورية كما رفض قبول التغيرات السيكولوجية في درا سة الواقع الاجتماعي وقد اهتمت المدرسة بالدراسات البحثية الميدانية وركزت مناقشة القضايا المادية و التاريخية

للماركسية والاقتصاد السياسي ومشكلات الأحزاب السياسية و تطور علم الاجتماع منهجا وموضوعا وقد التزمت بموضوعين، أولاها الالتزام بالخط الماركسي وثانيهما محاولة إثراء الكتابات الماركسية عن طريق الاستفادة من إجراء البحوث الإمبريقية أو الميدانية عمليات تحويل المجتمعات الأوروبية إلى النظام الاشتراكي، وكانت البحوث في هذه الفترة متنوعة ولم يكن المعهد يستوحي أثناءها مفهوما معينا للفكر الماركسي.

المرحلة الثانية: (1933- 1949) هي مرحلة المنفى والتي تشكلت فيها بشكل حاسم الأفكار المميزة للنظرية النقدية الهيجلية الجديدة بوصفها المبدأ الموجه لنشاطات المعهد.

المرحلة الثالثة: (1950-1970)

حين عاد المعهد إلى فرانكفورت عام 1950بدأت تتضح الأفكار الرئيسية للنظرية النقدية من خلال عدد من الكتابات المهمة ن مارست تأثيرا جليا على الفكر الاجتماعي الألماني وانتشر تأثيرها بعد ذلك في معظم أنحاء أوروبا وأمريكا، إنما مرحلة التأثير الفكري والسياسي الأكبر وكان لماركيوز تأثير كبير، وفي ظل الظروف المتغيرة لألمانيا فيما بعد الحرب العالمية الثانية، هو الذي ظهر عندئذ بوصفه الممثل البارز لشكل جديد من الفكر النقدي الماركسي

المرحلة الرابعة: مع بداية السبعينيات تقلص تأثير مدرسة فرانكفورت واكتفت أنها تتواجد كمدرسة بموت أدورنو عام 1969، هوركهامير عام 1973كما انها حادت في السنوات الاخيرة بعيدا عن الماركسية التي وهبتها الحياة في الأصل . (1)

**ثانيا**

**أهم فلاسفة النظرية وبعض الأعلام المؤثرين عليها**

**(1) هوركهيمر، ماكس Horkheimer ,Max ( 1895-1973 م**)

فيلسوف وعالم اجتماع وأحد مُؤسّسي النظرية النقدية لـ «مدرسة فرانكفورت» وروادها من الجيل الأول. ولد في مدينة أشتوتجارت سنة 1895م، ودرس في جامعة فرانكفورت التي حصل منها على الدكتوراه سنة 1922م، وعلى الدكتوراه المؤهلة للتدريس الجامعي سنة 1925م، وعُيّن بها في وظيفة مُدرّس للفلسفة الاجتماعية من 1926م إلى 1930م، ووظيفة أستاذ من 1930م إلى 1933م. تولى سنة 1930م إدارة «معهد فرانكفورت للبحث الاجتماعي» الذي ضمّ مُمَنّي النظرية، كما أسّس مجلته «مجلة البحث الاجتماعي، وأشرف على تحريرها من سنة 1930م حتى توقفها عن الظهور في سنة 1940م. هاجر إلى سويسرا ومنها إلى الولايات المتحدة الأمريكية سنة 1934م بعد استيلاء النازيين على مقاليد السلطة في ألمانيا، وهناك أقام معهد البحث الاجتماعي في جامعة كولومبيا بمدينة نيويورك مع بعض أعضاء «مدرسة فرانكفورت» الذين هاجروا معه أو لحقوا به، مثل صديق عمره « تيودور أدورنو، الذي ارتبط اسمه به واشترك معه في بحوث المعهد السابق الذكر وفي تأليف أهم كتاب معبر عن النظرية النقدية وهو «جدل التنوير». رجع إلى جامعة فرانكفورت سنة 1949م، وأعاد تأسيس المعهد والإشراف عليه حتى سنة 1958م، كما تولى منصب مدير الجامعة من 1951م إلى ۱۹۵۳م، ثم أحيل إلى التقاعد فخَلَفَه أدورنو في إدارة المعهد، ورجع للولايات المتحدة الأمريكية للعمل أستاذا زائرًا بجامعة شيكاغو من سنة 1954م إلى سنة ۱۹۵۹م، كُرّمته مدينة فرانكفورت بميدالية «جوته» سنة 1953م .

كما أهدته مدينة أشتوتجارت - مسقط رأسه - ميدالية المواطن سنة 1970م، ومنحته مدينة هامبورج جائزة ليسينج سنة 1971م، إلى أن حضره الموت في مدينة نورمبرج سنة 1973م.

عرف هوركهيمر بفلسفته وتنظيره النقدي الاجتماعي بجانب رئاسته لمعهد فرانكفورت السابق الذكر (الذي سُمي فيما بعد بالمعهد الدولي للبحث الاجتماعي) من عام 1930م إلى عام 1958م. ونبدأ بالحديث عن تطور تفكيره وكتاباته التي كان لها تأثير ملحوظ على حركة اليسار الجديد في الستينيات، وبخاصة في أوساط الشباب والطلاب في أوروبا الغربية والولايات المتحدة الأمريكية، فقد ولد لأب يهودي من أصحاب الأعمال الأثرياء، ولكنه اتجه منذ شبابه الباكر إلى الاهتمام بالثقافة وتوظيفها في نقد المجتمع البرجوازي والرأسمالي الذي نشأ فيه، وقد ظهر اتجاهه النقدي في رسالته للدكتوراه التي وضعها عن كتاب نقد ملكة الحكم لكانط، بوصفه حلقة الوصل بين فلسفته النظرية وفلسفته العملية (نشرت سنة 1925م في مدينة أشتوتجارت)، كما بدأ التزامه بالماركسية منذ أن كان طالبا وتوثقت علاقته بصديق عمره «فريدريش بولوك» الذي كان من أنشط أعضاء «المعهد»، وتميّز ببحوثه التي نشرها في مجلته في ميدان الاقتصاد السياسي، ولا بدّ هنا من القول بأن «بولوك» كان الوحيد من بين أعضاء «المدرسة والنظرية» في تقيده بأصول الماركسية التقليدية في بحوثه، وإن سائر أعضائها – وعلى راسهم هوركهنمر نفسه وادورنو - لم تبرز لديهم هذه الأصول والعناصر التقليدية المادية التاريخية والجدلية، والبنية التحتية والفوقية، والحتمية الاقتصادية وحتمية التقدّم، والصراع الطبقي، ودور الطبقة العاملة أو البروليتاريا في قيادة وإحداث التغيير الاجتماعي الثوري) إذ استخدموها جميعا بطريقة عامة وبمفهوم مختلف عن مفهومها الحرفي. وعلى الرغم من حرصهم على أن يُوصفوا بأنهم ماركسيون، فإن ماركسيتهم الجديدة» لم تكن تحتفظ من الماركسية بغير المضمون التنويري والطاقة المنهجية - النقدية الجدليّة - على تحليل الواقع الاجتماعي السائد تحليلا علميّا وعمليًا بعيدا عن التحليل النظري والفكري المجرّد الذي سارت عليه المذاهب المثالية والفلسفات الاجتماعية التقليدية، وعن التحليل «الوضعي» الذي يدّعي العلميّة في نظرته للعلاقات البشرية وكأنها علاقات بين أشياء أو ظواهر موضوعية وطبيعية خاضعة للتحكم والقياس، بعدها في الوقت نفسه عن الانخراط في الممارسة السياسية العملية، وتحفظها إزاء النشاط الحزبي المحدد (لا سيما بعد فشل الثورة الشيوعية الألمانية في العشرينيات، ويأسهم من الأحزاب الاشتراكية الأوروبية التي تهاونت أو تواطأت مع السلطة البرجوازية الحاكمة، واكتشافهم في النهاية تعثر ثورة أكتوبر الرّوسية وتجربتها الشيوعية بعد التصفيات المشهورة على عهد استالين، واختناقها بالبيروقراطية وشمولية الدولة والحزب).

يضاف لما سبق عامل آخر يميز كتابات هوركهيمر، كما يميز كتابات حديقه تيودور آدورنو، فهذه الكتابات الفلسفية والاجتماعية النقدية تسري فيها الحساسية الفنية وتغلب عليها روح الفنان وضمير الأديب أكثر من عقلانية العالم وموضوعيّته، يدل على هذا أنه ظل طوال حياته مُتأثرًا بتشاؤم شوبنهاور الذي قرأه في شبابه، وأنه تأثر بعد ذلك أو اقترب على الأقل من فلاسفة يمكن وصفهم بأنهم ذاتيّون أو جماليّون أو إنسانيّون، مثل نيتشه ودلتاي وفرويد وبرجسون (الذي التقى به في باريس في طريقه إلى المهجر بالولايات المتحدة الأمريكية، وكتب بحثا عن ميتافيزيقا الزمان عنده يعد من أفضل بحوثه)، فضلا عن نفوره من «المذهبية» و«النَبَقيّة»، وإيثاره في بعض كتاباته الهامّة لأسلوب الحكم والتأمّلات الموجرّة الذي يتجلى في ملاحظاته عن ألمانيا التي نشرها عام 1934م في زيوريخ تحت عنوان «الفجر» باسم مُستعار هو هينريش ريجبيوس، قبل أن يتوسّع فيها ويضيف إليها ملاحظات أخرى عن السنوات التي عاشها بين عامي: 1950م و1999م (نُشرت في فرانكفورت سنة 1974م وظهرت ترجمتها الإنجليزية الكاملة في نيويورك سنة 1979م تحت عنوان فجر وتدهور)، وكل هذا مع غض النظر عن سلسلة الروايات التي يُقال إنه كتبها في شبابه ولم تر النور أبدًا، وعن الأقاصيص واليوميّات التي نشرت بعد موته تحت عنوان «من فترة المراهقة» (نشرت سنة 1974م).

شارك هوركهيمر - كما سبق القول - مشاركة فعالة في تأسيس معهد فرانكفورت للبحث الاجتماعي والنظرية النقدية المعبرة عنه، بجانب توليه إدارته والإشراف على مجلته التي تابعت نشر دراسات أعضائه ودراسات غيرهم من الباحثين البارزين (مثل رايموند آرون وإريش فروم وفالتر بنيامين وأدورنو وإرنست كرينيك وفريدريش بولوك وهربرت ماركوز وليو لوفنتال ... إلخ)، وقد كان الهدف من المعهد والمجلّة في بداية أمرهما هو الاهتمام بدراسة تاريخ الحركة العمالية الألمانية والتحليل الاجتماعي النقدي القائم على أسس ماركسية عامة والمتأثر - بوجه خاص - بكتابات جورج لوكاتش، ومن أهمها التاريخ والوعي الطبقي، وكتابات كارل كورش عن الماركسية والفلسفة والإنتاج الرأسمالي وظروفه وعلاقاته السلبية. ومع أواخر العشرينيات ازداد توجّه أعضاء المعهد نحو بناء فلسفتهم الاجتماعية وتأسيس نظريتهم النقدية للثقافة الرأسمالية عامة .

**2- أدورنو، تيودور فيزنجروند . Adorno,Th. W -1969-1903 م**

فيلسوف وباحث في الاجتماع والنقد الأدبي وفلسفة الجمال، وبخاصة النظرية الموسيقية. يعدّ - بجانب صديقه ماكس هوركهيمر الذي اشترك معه في تأليف كتاب «جدل التنوير» المعبر عن النظرية النقدية - من أهم رواد هذه النظرية. دفعته مُيوله الموسيقية في بداية حياته إلى التتلمذ في فيينا على المؤلف الموسيقي «ألبان بيرج»، والانضمام لحلقة «شونبرج» التي تفككت عام 1928م، فرجع إلى موطنه الأصلي في مدينة فرانكفورت على نهر المين، وانضمّ إلى جماعة هوركهيمر الذي تولى سنة 1930م إدارة معهد البحث الاجتماعي الذي كان قد تأسّس في هذه المدينة سنة 1923م، وعندما قام النازيون بحل المعهد لجأ إلى إنجلترا وأقام عدة سنوات في أكسفورد، ثم لحق بمعظم أعضائه الذين هاجروا إلى نيويورك وواصلوا هناك دراساتهم في نقد المجتمع «البرجوزاي» وثقافته الرأسمالية «المصنّعة» التي دمغوها بالشمولية والقمع والتسلطية. وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية تلقى دعوة للتدريس في جامعة فرانكفورت، فانتقل إليها مع مورو ومر ومعهد البحوث الاجتماعي، وتولى معه الإشراف عليه، ونشر في مجلته (مجلة البحث الاجتماعي معظم مقالاته ودراساته التدريبية والنقدية الاجتماعية والجمالية التي تركزت حول تحليل التسلطية، بوصفها سمة شخصية وطابعا مميزا المجتمع - وبخاصة المجتمع الشمولي الرأسمالي والاشتراكي - وتتبع جذورها المعادية للسامية، في نظام الطغيان النازي .

من أهم مؤلفاته: النقد البعدي لنظرية المعرفة، 1936م (ويناقش فيه فلسفة الظاهرات الهوسرل)؛ جدل التنوير، 1947م (بالاشتراك مع ماكس هوركهيمر): فلسفة الموسيقى الجديدة، 1949م؛ دراسات أخلاقية صغيرة1951م: ثلاث دراسات عن هيجل، 1963م، موشورات، نقد الثقافة والمجتمع، 1963م: رطانة الأصالة (وهو هجوم شديد على فلسفة هيدجر) 1964م: ملاحظات عن الأدب (في جزأين 1958م، 1969م)؛ الجدل السلبي، 1966م؛ النظرية الجمالية، 1970م: كيركجور، تكوين الجمالي، 1974م (ويقوم على رسالته في الدكتوراه لسنة 1933م).

على الرغم من تعدّد اهتمامات «أدورنو»، فثمة مقولات أساسية تقوم عليها فلسفته في التاريخ، وتحليلاته النقدية للوعي الاجتماعي والمعرفة والثقافة والفن في المجتمع الرأسمالي والاشتراكي بوجه خاص، والمجتمع الإنساني بوجه عام. ويبدو أنه قد تأثر تأثرَا كبيرا بما لاحظه فيلسوف الحياة جورج زيميل (1918-1858م) من أن تاريخ الفلسفة يكاد يخلو من الإشارة إلى عذاب الإنسان ومعاناته المأساوية. وقد جعل أدورنو هذه الملاحظة العميقة شعارًا موجها لتفكيره، واهتم بالتعبير عن انكسار الفرد عبر التاريخ الاجتماعي كله والتاريخ المعاصر خاصة، وتحطيمه بفعل قوى غاشمة مجهولة.. ولا شك أن انحداره من أصل يهودي وإحساسه باضطهاد اليهود في أوروبا وألمانيا النازية - قبل كل شيء قد جعله يطلق هذا السؤال ويرد عليه بطريقة فلسفية تتخطى البربرية النازية إلى التاريخ الغربي المخرب» بأكمله: «هل بقيت فرصة للحياة أمام من نجا من أوشفيتس (وهو المعقل النازي الرهيب)، أو هل يحق له أن يعيش وقد كان مقضيّا عليه بالهلاك ؟ إن الرعب والشقاء يدمغان التاريخ البشري، ولم تكن الفاشية إلا ذروة التعاسة والعذاب. وجحيم الشر البشري الذي فغر فاه في «أوشفيتس»، سيظل في المستقبل يلتهم ضحايا جديدة، فمجرّد حدوث ما حدث - على الرغم من التراث الفلسفي والفني والعلمي المستنير - يعني شيئا أكثر من القول بأن العلوم وأن الروح والثقافة ... إلخ

**هابرماس، يورجين Habermas,Jirgen (وَلد سنة 1929م)**

فيلسوف وعالم اجتماع ألماني، وأهم ممثلي الجيل الثاني المدرسة فرانكفورت والنظرية النقدية الاجتماعية التي يعمل من أكثر من ثلاثين عاما على بلورتها وتطويرها والتوسّع فيها وتحويلها إلى فلسفة واعية وعملية للتحرر والتواصل، وذلك بالتعمّق في مشكلات نظرية المعرفة وفلسفة اللغة ونظرية الأنساق وتكوين الرأي العام واستلابه» في المجتمع الرأسمالي والليبرالي الحديث، مع التزود بعناصر مُستمدّة من شتى الاتجاهات الفلسفية المعاصرة، كالفلسفة التحليلية، وفلسفة التفسير أو التأويل الذاتي والتاريخي (الهيرمينويطيقا)، والأنثروبولوجيا الفلسفية، فضلا عن الاهتمام بالحركات الاجتماعية «الجذرية الجديدة في أوساط الثوريين والمحتجين على هيمنة العقلانية العلمية والتقنية وسيطرة مؤسسات الدولة الحديثة على حياة الفرد والمجتمع سيطرة تُشبه أن تكون حالة حصار شاملة. ا ولد عام 1929م في مدينة دوسلدورف، ودرس في جامعتي جوتنجن وبون التي حصل منها على الدكتوراه في عام 1954م برسالة عن المطلق والتاريخ أو التمزّق في تفكير اشيلنج (أحد فلاسفة المثالية الألمانية)، ثم تابع دراسته في جامعة ماربورج التي حصل منها في عام 1961م على دكتوراه التأهيل للتدريس الجامعي برسالة عن «تحوّل بنية الرأي العام، بحوث عن إحدى مقولات المجتمع البرجوازي (نويفيد، لوخترهاند، 1962م)». مين في وظيفة محاضر للفلسفة بجامعة هيدلبرج، ثم شغل منصب أستاذ الفلسفة والاجتماع فيها من عام 1964م إلى عام 1971م، عندما تولى إدارة معهد ماكس بلانك البحث الشروط الحيوية لعالم العلم والتقنية من عام 1971م إلى عام 1972م .(2)

**ثالثا**

**تقيم أفكار مدرسة فرانكفورت ونقد أعمالها |**

اشتهرت بنقد الاتجاه الوضعي، حيث كان نقدها من منطلق استيعاب أسسها النظرية وتخللا دعائمها المنهجية، فرؤية مدرسة فرانكفورت في نقدها للوضعية ترتبط بهدف مركزي هو أنها تسعى إلى تحرير المعرفة و الإنسان من أسر القوالب النظرية الجامدة التي فرضت الجمود على الطبيعة الإنسانية، وأعاقتها عن القيام بدورها الطبيعي. إن المجتمع في نظرهم ليس مجرد مقولة حيادية كما يذهب إلى ذلك أصحاب القرعة الوضعية. ذلك لأنه يرتبط أوثق الارتباط مفهومين هما : الشمولية و التناقض، وتحليل أي مجتمع يستند إلى فهم عميق للتناقضات الكامنة فيه دون محاولة اختزالها في إطار نسق فكري تعسفي.

- ترى هذه المدرسة أن الطبقة العاملة في المجتمعات الصناعية قد فقدت إمكاناتها الثورية بسبب مجموعة من المتغيرات الداخلية والعوامل الخارجية تستند نظريتها النقدية على نقد الاتجاهات العلمية والموضوعية التي تنهض عليها الماركسية، وهي تسعى إلى تحويل الفلسفة إلى نظرية اجتماعية تسند إلى أسس جدلية تأملية. يهدف علم الاجتماع النقدي في نظر أحد روادها هابرماس إلى إمكانية التأمل وإعادة البناء على نحو يمكن الأفراد من معرفة أنفسهم والإلمام بالمواقف و الظروف المحيطة بهم .(3)